مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 14، العدد 1، (السداسي الأول 2022م)، ص. 81- 114

بلاغة الفاصلة القرآنية وأثارها في بيان الإعجاز القرآني

Quranic eloquence rhymes and its effect in Quranic miraculous

د. مسعود مرزوقي*
جامعة الجزائر- بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية - الجزائر،
m.merzougui@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/02/28 تاريخ القبول: 2022/03/05 تاريخ النشر: 2022/03/31

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في الفاصلة القرآنية، التي لم تخرج عن سنن كلام العرب من حيث الألفاظ، والحروف، والتركيب، والأسلوب، لكن اتساق حروفه، وطلاوة عباراته، وجرس آياته، جعلتهم يقفون مبهوتين عاجزين.

ثم تناول البحث في هذه الدراسة ماهية الفاصلة، ورأي علماء البلاغة فيها، إلى جانب موقفهم من مصطلحي الفاصلة والسجع، وهما متشابهان من حيث الشكل لا ريب، ولذا وقع الخلاف بين العلماء حول تسمية الفواصل، فسماها بعضهم سجعا، وسماها آخرون فواصل ،أو رؤوس الآي .

ثم تناولت الدراسة بعض الظواهر البلاغية في الفاصلة القرآنية، وتم التركيز على التقديم والتأخير، ثم أسلوب التوكيد، إلى جانب وضع الظاهر موضع الإضمار.

وبعد هذا تبين أن هذه التغيرات التي حدثت في الفاصلة لم يقتصر أثرها على المحافظة على التوافق بين الفواصل فحسب، وإنما في الغالب لتأدية معنى مراد، فليست الفاصلة مقصودة لذاتها، وإنما لأمر هام يتضح من خلال توظيف هذه الظواهر. وغيرها، على أن الأمر فوق قدرة البشرية، فكان هذا من بين جوانب الإعجاز القرآن .

الكلمات المفتاحية : بلاغة؛ القرآن؛ ظواهر؛ الفاصلة؛ الإعجاز .

Abstract :

This piece of work deals with the phenomenon of the Quranic *Fasila.* This later did not get out from the traditional speech of the old arab people, concerning its morphems, syntax, lexicon, structure and style.

* المؤلف المرسل

Thus, the beautifulness of its resonating letters and its highly structured sentences and more eloquent verses made the compatriots of the prophet Mohamed PBH very astonished and speechless infront of this miraculous divine missage.

This research also shows the importance of this literary device and highlights the views of scholars of rhetoric about it and also their view about *Fasila* and rhyme since they are both alike .

This writing also exposes some rhetorical phenomenon with *Fasila* as one feature of the coranic wordings ; clearly, it focuses on the aspect of hysteron and proteron, the affirmative style and ellipses.

Hence, all the changes noticed in this literary divice is not done at rendom but to express some precise meanings above human capacity to concider and soi s the miracles of th coran.

Keywords : Eloquence; Quran ; phenomenons; Quranic rhymes ; miraculous .

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وبعد؛

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على رسول الله الأمين ﷺ بشيرا ونذيرا . وقد جمع الله فيه في كل جزء منه ما لا يحصى من محاسن القول وجمال اللفظ وجلال المعنى. هذا القرآن دانت له كل أرباب الفصاحة والبيان، قلوب وأسماع وعقول وأفئدة كانت أشد من الصخر قسوة، وأكثر من الأنعام ضلالا وغفلة، فإذا هي بالقرآن أرق قلوبا وألين أفئدة.

إن ظاهرة الإيقاع اللفظي في القرآن، لم تلق نصيبا كبيرا من الدراسة كأخواتها من الظواهر اللغوية الأخرى في القرآن، ربما لتحرُّج بعض الدارسين من المسألة، أو الخوف من اقترانها بالسَّجع المذموم في بعض أحواله... وأيًّا ما كان الأمر فإن لغة القرآن الكريم جاءت بأسلوب متفرد في صوره ومظاهره، فجاء بكلام معجز لا قبل لبشر بأن يجئ بمثله، لذلك وظف أساليب متنوعة منها الفاصلة القرآنية.

ولذلك جاءت هذه الدراسة في مبحثين، تناولنا في المبحث الأول ماهية الفاصلة القرآنية. أما المبحث الثاني فكان في مظاهر الإعجاز في الفاصلة القرآنية .

المبحث الأول: ماهية الفاصلة :

لما كان هذا البحث يدور حول الفاصلة في القرآن الكريم، صار من اللّازم علينا التعريف بالفاصلة، التي أبهرت علماء البلاغة وعلماء التفسير، ممّا جعلهم يعملون على إبراز جمالها وإظهار معانيها .

المطلب الأول: مفهوم الفاصلة في القرآن الكريم :

أولا: الفاصلة في اللغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة قوله:« الفاء والصاد واللام كلمةٌ صحيحة تدلُّ على تمييز الشّيء من الشَّيء وإبانته عنه ،يقال: فَصَلْتُ الشَّيءَ فصلاً، والفَيْصل: الحاكم، والفَصِيل: ولدُ النّاقة إذا افتُصِل عن أمّه، المِفْصَل اللّسان؛ لأنَّ به تُفصَل الأُمور وتميز[1]»،والفاصلة من مادة: (فَصَلَ)، وجمعها فواصل، وفي أساس البلاغة «فصل: تقول كانوا حُكَاما فياصل يحزّون في الحكم المفاصل، جمع فَيْصَل وهو الفاصل بين الحقّ والباطل، وهذا الأمر فَيْصَل، أي مقطع للخصومات » [2].

والفصل له عدد من المعاني منها: «(بُوْنُ) مابين الشيئين. و(القطع): فصل بينهما يفصل فصلا فانفصَل وفَصَلْت الشيء فانفصل: أي قطعته فانقطع، والانْفصال مطاوع فصل، وكذلك (القضاء بين الحق والباطل) يقال: هو قضاء فَيْصَل وفاصِل)، وذكر الزجاج أنّ الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصِل القضاء بين الخلق، قال عز وجلّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾[3]، والمراد: هذا يوم الفصل فيه بين المحسن المسيء ويجازي كل بعمله، ويوم الفصل هو يوم القيامة، قال عز وجلّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾[4]، و(قوْل فصْل) حقّ ليس بباطل، وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[5]، أي يفصل بين الحق والباطل. وقيل هو البيّنة على المدَّعى، واليمين على المدَّعي عليه، وقيل هو أن يفصل بين الحق والباطل، وقيل: ومنه أيضا (المَفْصِل): واحد مَفاصِل الأعضاء، كل ملتقى عظمين من الجسد[6]».

---

[1] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دون ذكر الطبعة والسنة،505/4

[2] أبو القاسم جارالله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1998م، 25/2

[3] سورة الصافات،الآية:21

[4] سورة المرسلات،الآية:14

[5] سورة الطارق،الاية:13

[6] انظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق علي شري، دار احياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ط1، 1988م،10/ 272 و273.

ثانيا: الفاصلة اصطلاحا:

اختلفت آراء العلماء قديما وحديثا حول المعنى الاصطلاحي للفاصلة، واستخدموا مصطلحات متعدّدة، سواء القدماء أم المحدثين .

أولا: الفاصلة القرآنية عند القدماء:

تناول العلماء قديما الفواصل بتعريفات متعدّدة منها ما جاء على لسان الرماني، الذي عرف الفاصلة بقوله: « الفواصل هي حروف متشاكلة في المقاطع « الفواصل توجب حسن المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عجيب[7]»، ثمّ علّق على الفواصل والأسجاع قائلا: «وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها[8]» وأمّا أبو بكر الباقلاني فقد قال: وهذا الذي يزعمون غير صحيح، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقولوا: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز. وكيف والسجع ممّا كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر. والذي يقدّرونه أنّه سجع فهو وهمٌ؛ لأنّقد يكون الكلام على مثال السجع، وإنْ لم يكون سجعا؛ لأنّ ما يكون به الكلام سجعا، يختص ببعض الوجوه دون بعض[9]»، وأمّا أبو عمرو الداني، فقد عرّف الفواصل أيضا بقوله: «والفاصلة هي: الكلام التام المنفصل ممّا بعده والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكنَّ رؤوس آي وغيرها فكلّ رأس آية فاصلة وليس كلّ فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين[10]»، ومن الذين تناولوا بالتعريف الفاصلة، الزركشي حيث عرفها بقوله: «وهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع»[11]. وقال ابن يعيش: «المراد بالفواصل رؤوس الآي ومقاطع الكلام، وذلك أنّهم قد يطلبون منها التماثل كما يطلب في القوافي، والقافية يشترط فيها ذلك، ولذلك سُميت قافية، مأخوذة من قولهم قفوت أي تبعت كأنّ أواخر الآيات يتبع بعضها بعض فتجري على منهاج واحدٍ[12]».

---

[7] الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص:97.

[8] المصدر نفسه، ص:97.

[9] أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، لقاهرة-مصر، دون ذكر الطبعة والسنة، ص:57.

[10] أبو عمرو الداني، البيان في عدّ القرآن، تحقيق: قدوري، الحمد، مركز المخطوطات،الكويت،ط1، 1994م، ص:126.

[11] الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، دون ذكر الطبعة، 2006م،ص:50.

[12] ابن علي بن يعيش، النحو، دار الطباعة المنيرة، دون ذكر الطبعة والسنة،78/9.

ثانيا :مفهوم الفاصلة عند المحْدَثين :

من الذين تناول الفاصلة في القرآن الكريم فضل حسن عباس، فقد عرّفها بقوله: «يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية فاصلة، ولعلّ سبب ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[13]، [14]»، وأمّا مناع القطان فقد عرّفها بقوله: «الكلام المنفصل ممّا بعده، وقد يكون رأسَ آية، وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأنّ الكلام ينفصل عندها[15]».

وأمّا الشيخ الطاهر ابن عاشور فقد قال:« الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب مع تماثل صيغ النطق بها[16]»، وعند أحمد أحمد بدوي الفاصلة هي: «الكلمة التي تختم بها الآية القرآنية[17]». وأمّا سيّد قطب فهو من أكثر الدارسين المحدثين توسّعًا في دراسة التناسب في النظم، وقد تناول هذا الموضوع ضمن حديثه عنالتصوير الفني في القرآن الكريم ونلمس ذلك في قوله: «ومنها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ومع أن هذه الظاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن، وعميقة كلّ العمق في بنائه الفني» [18]، وأشار إلى النكت التي تنبّه إليها العلماء كالتعقيبات المتّفقة على السياق كأن تجئ الفاصلة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[19]، وأمّا مصطفى صادق الرافعي فقد تحدّث عن مدى أهمية الحروف وأصواتها، كما تحدّث عن الفاصلة القرآنية قائلا: «وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامّة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها، في قرار الصوت اتفاقا عجيبا، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها؛ أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحد من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت

[13] سورة فصلت،الآية:44.

[14] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط.2، 1997م، ص:114.

[15] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، دون ذكر الطبعة والسنة، ص:136-138.

[16] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر،ط1، 1984م،الكتاب الأول،75/1.

[17] أحمد أحمد بداوي، من بلاغة القرآن الكريم، دار نهضة مصر، دون ذكر الطبعة والسنة، ص:64.

[18] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت-لبنان، دون ذكر الطبعة والسنة، ص:34.

[19] سورة المائدة، الآية:120.

الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما أشبه وأليق بموضوعه، وعلى أنّ ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلاّ في الجمل القصار، ولا يكون إلاّ بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما ممّا هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي[20]»، ومن خلال هذه التعريفات يلاحظ أنّ هنا كأربعة آراء للعلماء القدماء والمحدثين في تحديد مفهوم الفاصلة، وهي:

1 ـ الفاصلة هي الحرف الذي تختم به الآية، وهذا ما ذهب إليه الرماني والباقلاني.

2 ـالفاصلة هي الكلمة التي وقعت في آخر الآية، وهذا ما اتجه إليه الزركشي وأحمد بدوي.

3 ـالفاصلة هي الكلام والجملة المنفصلة عمّا بعدها، وإلى هذا اتجه أبو عمرو الداني وكذلك مناع القطان.

4ـ الفاصلة هي اللفظ الذي ختمت به الآية، وهذا ما جاء على لسان فضل حسن عباس، وهذا الرأي يعم كلا الرأيين الأول والثاني، ثمّ إنّ الاتجاه العام عند المتقدّمين والمحدثين يتجه إلى أنّ الفاصلة تقع في أخر الآية، بينما ذهب أبو عمرو الداني إلى أنّها في رؤوس الآيات وغيرها، وهذا ما اتجه إليه مناع القطان .

المطلب الثاني: علاقة الفاصلة بالعلوم اللغوية:

1 ـ النحو:

إنّ الفصل: عند "البصريين" بمنزلة العماد عند الكوفيين" مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ فقوله: (هُوَ) فصل أو عِماد[21].

2 . **العروض:**

أ ـ الفصل: كلّ عروض بنيت على ما لا يكون في الحشو، إمّا صحة، وإمّا إعلال مثل مفاعيلن في الطويل .

ب ـ الفاصلة الصغرى: وهي عبارة عن سببين، الأول: سبب ثقيل، والثاني: سبب خفيف.

ج ـ الفاصلة الكبرى: وهي عبارة عن سبب ثقيل، ووتد مجموع.

[20] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2004م، ص:150.

[21] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق،275/10.

3 ـ علوم القرآن:

أواخر الآيات في كتاب الله ـ عز وجلّ ـ والفواصل بمنزلة القوافي في الشعر، وقالوا في تعريف الفاصلة: "هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع" وقال الداني :"كلمة آخر الجملة... وقال القاضي أبو بكر: الفواصل متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"[22]

في القرآن الكريم نجد السور الطويلة والقصيرة، على حدٍّ سواء تظهر فيها الفواصل في أثر التنغيم، ممّا يعطي القرآن الكريم جمالا ما فوقه جمال، والإيقاع في القرآن غاية تُقصد، ولهذا نجد الدعوة بل الأمر بالترتيل وتحسين الصوة بالقراءة.

طرق معرفة الفواصل في القرآنية :

تأتي الفاصلة في القرآن الكريم مستقرة مطمئنة في مكانها متسقة مع موضوع الآية، وتعلّق معناها بمعنى الآية كلّها، بحيث لو طُرِحَت، لاختل المعنى، ولمعرفة الفواصل في القرآن الكريم وجب أن نعود إلى مذكر السيوطي، حيث أشار إلى أمرين: هما الطريق الوقفي، والطريق القياسي.

أولا: الطريق الوقفي :

وهذا ما ثبت عن النبي ﷺ بتحديد رؤوس الآي في السور، وما روي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنّ الرسول الله ﷺ كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول:« (بسم الله الرحمن الرحيم،) ثم يقف (الحمد لله رب العالمين) ثمّ يقف (الرحمن الرحيم) ثمّ يقف...»[23]، فالنبي ﷺ، كان يقف على كلّ آية، وإنّما كانت قراءته، ﷺكذلك ليعلم الناس رؤوس الآيات، فما وقف عليه النبي، ﷺ، دائما تحقّقنا أنّه فاصلة، وما وصله دائما، تحقّقنا أنّه ليس بفاصلة، وما وقف عليه النبي ﷺ، مرة ووصله أخرى، فيحتمل الوقف عليه ثلاثة أمور:

1 ـ أن يكون الوقف لتعريف الفاصلة

2 ـ أن يكون الوقف تعريفا للوقوف التام.

3 ـ أن يكون الوقف للاستراحة.

---

[22] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق،10،ص:42، وص275:.

[23] . صحيح سنن الترمذي، المؤلف المشرف، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي، دول الخليج، ط1، 1408هـ،رقم الحديث:877.

واحتمل الوصل له:

1 ـ أن يكون غير فاصلة

2 ـ أو فاصلة ووصلها لتقدم بيانها[24]

ثانيا: الطريق القـياسي:

هو ما أُلحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص[25] لمناسب، ولا محذور في ذلك؛ لأنّه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنّما غايتُه أنّه محلّ فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصلُ القرآن كلّه جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه، فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافيةِ البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية ـ من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه ـ فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر، بخلاف قافية القصيدة، ومن ثمّ ترى : ﴿يَرْجِعُونَ﴾[26]، مع﴿عَلِيمٌ﴾[27]، مع﴿ٱلْمِيعَادَ﴾[28]، مع﴿ٱلثَّوَابِ﴾[29] مع﴿ ٱلطَّارِقُ﴾[30]، مع﴿ٱلثَّاقِبُ﴾[31]..[32]». ولقد ذكر العلماء بعض الطرق لمعرفة الفواصل بالقياس، وهي:

1. مساواة الآية بما قبلها طولا وقصرًا.

2- مشاكلة الفاصلة لغيرها، ممّا هو معها في السورة في الحرف الأخير منها، أو فيما قبله.

3 ـ فإذا كان قبل الحرف الأخير حرف مد نحو﴿يُؤْمِنُونَ﴾،فإنّ العبرة تكون بالمشاكلة فيه مع اعتبار المساواة في الوزن[33].

---

[24] انظر :الزركشي، الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق،ص:609.

[25] انظر: مصدر سابق،ص:609.

[26] سورة آل عمران،الآية:72.

[27] سورة آل عمران، الآية:73.

[28] سورة آل عمران، الآية:194.

[29] سورة آل عمران، الآية:195.

[30] سورة الطاق، الآية:2.

[31] سورة الطاق، الآية:3.

[32] انظر :الزركشي، الا تقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص: 609.

[33] المصدرنفسه،ص609.

علاقة الفاصلة بالنص القرآني:

للفاصلة علاقة شديدة الارتباط، وثيقة الصلة بالنص القرآني في الآية، وهذه العلاقة قد يشير سياق الآية إلى فاصلتها، إشارة لفظية واضحة وجلية، وقد نتوصّل إليها من خلال البحث والتأمل، ولذلك فإنّ علاقة الفاصلة بسياقها أنواع، منها ما يأتي عن طريق قرينتها (أو الآية) التي جاءت فيها، أو المقطع، أو السورة، وربّما حتى الجزء الواحد من القرآن، وبمجموع القرآن الكريم.

وأمّا علاقة الفاصلة بقرينتها فقد أطلق عليه العلماء: لفظ ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام قال الزركشي:«اعلم أنّ من المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بدّ أنتكون مناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، ولكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب[34]».

أولا: التمكين:

وفي هذا المقام نجد تمهيدا للفاصلة، وبهذا التمهيد تأتي الفاصلة ممكنة في مكانها ثابتة مستقرة في موضعها، يقول الزركشي في ذلك« التمكين وهو أن يُمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها غير نافذة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقا تاما بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم»[35]، وهذا الباب يُطلِعك على سر عظيم من أسرار القرآن فاشدد يديك به، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّٗا عَزِيزٗا ﴾[36]، فإنّ الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن «الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم، ولم يبلغوا ما أرادوا وأن ذلك أمر اتفاقي فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ويزيدهم يقينا وإيمانا على أنه الغالب الممتنع، وأن حزبه كذلك أنّ تلك الريح التي هبّت ليست اتفاقا، بل هي من إرسالهِ سبحانه على أعدائه كعادته، وأنّه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيمانا وينصرهم مرّة بالقتال كيوم بدر وتارة بالريح كيوم الأحزاب وتارة

[34] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، 65/1.

[35] مصدر سابق،65/1.

[36] سورة الأحزاب، 25.

بالرعب كبني النضير، وطورًا ينصر عليهم كيوم أحد تعريفا لهم أن الكثرة لا تغني شيئا وأن النصر عنده كيوم حنين[37]».

ثانيا: التصدير:

والمراد بذلك أن يتقدّم لفظة الفاصلة بعينها في أول صدر الآية، ويسمّى(ردّ العجز على الصدر) وقيل أنّه على ثلاثة أقسام:

أولا: توافق آخر آية كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[38].

ثانيا: أن يوافق أول كلمة منه، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[39].

ثالثا: أن يوافق بعض كلماته، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[40]

التوشيح:

سمّي بهذا الاسم لأنّ الكلام نفسه يدل على آخره، نزّل المعنى منزلة الوشاح، ونزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذين يجول عليهما الوشاح، ولهذا قيل فيه: إنّ الفاصلة تعلم قبل ذكرها. وسمّاه بعض العلماء(المطلع)؛ لأنّ صدره مطلع في عجزه، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.[41] فإنّ اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه الفاصلة، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين.

الإيغال:

سمّي بذلك لأنّ المتكلّم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحدّ، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[42] والكلام هنا قد تمّ بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾.

---

[37] انظر :الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص:66.

[38] سورة النساء،الآية:166.

[39] سورة آل عمران،الآية:8.

[40] سورة آل الأنعام،الآية:10.

[41] سورة آل عمران،الآية:33.

[42] سورة المائدة،الآية:50.

المطلب الثالث: الفاصلة والسجع عند علماء البلاغة:

أشرت من قبل السجع، والفواصل القرآنية أنّهما متشابهان حيث الشكل، وهذا لاريب فيه، ولذا وقع الخلاف بين العلماء، حول تسمية الفواصل، فسماها بعضهم سجعا، وسماها آخرون فواصل، أو رؤوس الآي. ونحن في هذا المقام سنعرض بإيجاز لخلافهم في هذا الحديث.

بدأ الحديث عن الفواصل بين علماء اللغة والبلاغة حيث نجد إشارات في مباحثهم، وربّما يكون الفرّاء من الأوائل الذين تناولوا هذا الموضوع، وذلك عندما تحدّث عن معاني القرآن، غير أنّه سماها رؤوس الآي، وهو يعلِّل بعضها من صور الحذف والتقديم والتأخير، أو إحلال صيغة محل أخرى، وكل ذلك يعلِّله برعاية الفواصل قال في قوله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[43]، معناه: الأدبار، وكأنّ القرآن نزل على ما يستحب العرب من موافقة المقاطع، ألا ترى أنّه قال: ﴿إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾[44]، فثقل في(اقتربت)؛ لأنّ آياتها مثقلة، وقال: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾[45]، فاجتمع القراء على تثقيل الأولى وتخفيف، هذا ومثله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾[46]، وقال: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾[47]، فأُجريت رؤوس الآي على هذه المجاري، وهو أكثر من أن يضبطه كتاب .

أمّا الطبري فقد تناول الفواصل في تفسيره، غير أنّه أطلق عليها اسم رؤوس لآي، فقال: « واختلف القراءُ في قراءةِ ذلك، فقرَأته عامّة قراء الشام والعراق ﴿يَسْرِ﴾ بغير ياء، وقرَأ ذلك جماعة من القراء بإثبات الياء، وحذف ذلك أعجب إلينا ليوفق بين رؤوس الآيات إذ كانت بالراء[48]»، وهذا ما نجده أيضا عند ابن خالويه الذي وظّف مصطلحي رؤوي الآي، والفواصل معًا، وذلك عندما تناول قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾[49] قال:

---

[43] سورة القمر،الآية:45

[44] سورة القمر،الآية:6.

[45] سورة الطلاق،الآية:8.

[46] سورة الرحمن،الآية:5.

[47] .سورة النبأ،الآية:36.

[48] الطبري، تفسير الطبري، هجر للطباعة والنشر،القاهرة،مصر،ط1، 2001م، 358/1.

[49] سورة الشمس، الآية:11

«وطغوى بمعنى طغيان، والطغيان في اللغة مجاوزة الشيء حدّه... فإن قال قائل: فلِمَ قيل بطغواها؟ فقل: لتوافق رؤوس الآي، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾[50]....يريد الرجوع ولكنّه أتى به على الرجعى ليوافق الفواصل[51]».

وعندما جاء الرماني زاد الخلاف وذلك عندما تعرّض لموضوع وجود السجع في القرآن من عدمه، وفضل استعمال مصطلح الفواصل فقال: فقال: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة، والأسجاع عجيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، أمّا الأسجاع فتابعة لها، وهو قلب توجيه الحكمة في الدلالة[52]».

وربّما كانت نظرة الرماني إلى السجع تقوم على ما وجده شبيهًا بسجع الحمام الذي يرى فيه إلاّ أصوات متشاكلة، ثمّ إنّه متّصل بسجع الكهان المعروف في الجاهلية، هذا الضرب أبطله الإسلام، وكذا نظرته إلى الفواصل على أنّها بلاغة والأسجاع عجيب كون الفواصل تابعة للمعاني، وكون المعاني تابعة للأسجاع، ويؤكد هذا الأمر عندما يقول: «إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنّما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولُكْنة، لأنّه تكلّف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة ومثاله مثل من رصَّع تاجًا، ثمّ ألبسه زنجيا ساقطا[53]»، ثمّ يضرب مثلا بسجع الكهان فقال: «فمن ذلكما يحكى عن بعض الكهان: والأرض والسماء، والغراب الواقعة بنقعاء، لقد نفر المجد إلى العُشَراء[54]»، يعلِّق على ذلك بقوله: « فهذا أغث كلام يكون وأسخفه، وقد بيَّنا علته، وهو تكلّف المعاني من أجله وجعلها تابعة له من غير أن يبالي المتكلم بها ما كانت»[55]. وفي هذا ربّما يكون الرماني قد استحسن رأي أبي الحسن الأشعري فأخذ به، جاء في الإتقان في علوم القرآن: «ذهب الأشعري إلى امتناع أن يقال: في القرآن سجع، وفرّقوا بأنَّ السجع هو الذي يقصَد في نفسه، ثمّ يحال المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها. قال: ولذلك كانت الفواصل بلاغة، والسجع عيبا. وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، ونقله عن نصّ أبي الحسن

[50] .سورةالعلق،الآيتان:8 و11.

[51] ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الهلال، بيروت، دون ذكر الطبعة،1985م، ص:103.

[52] الرماني، النكت في اعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق، محمد خلف، زغلول سلام،ط3، 1976م، ص:97.

[53] المصدر نفسه، ص: 98.

[54] المصدر نفسه، ص: 98.

[55] المصدر نفسه، ص: 98.

الأشعري وأصحابنا كلهم قال: وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أنّ ذلك ممَّا يبيّن به فضل الكلام، وأنّه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة[56]».

وأمّا الباقلاني فقد تناول نفي السجع من القرآن الكريم، ووضع فصلاً في ذلك، فقال:« وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك، ولو جاز أن يقولوا: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا شعرًا معجزًا، وكيف والسجع ممّا كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر، بأن يكون حجةً من نفي الشعر، لأنّ الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر[57]».

وأمّا رأي أبي هلال العسكريفلا يختلف كثيرا عن الباقلاني في نفيه أن يكون السجع في القرآن الكريم، فقد عقد بابا للسجع والازدواج جاء فيه: «وكذلك جميع ما في القرآن ممّا يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة لماء ولما يجري مجراه من كلام الخلق، ألا ترى قوله عزّ اسمه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾[58] قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى من مثل قول الكاهن" والسماء والأرض، والقرض، والفرض، والغمر والبرض "ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف[59].

وأمّا ابن سنان الخفاجي فقد تناول الفاصلة والسجع وردّ على الرماني فيما ذهب إليه من القول أنّ السجع عيب في القرآن الكريم فقال:« وأمّا الفواصل التي في القرآن فإنّهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعا وفرّقوا فقالوا: إنّ السجع هو الذي يقصد في نفسه، ثمّ يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها، وقال علي بن عيسى الرماني: إنّ الفواصل بلاغة، والسجع عيب، وعلّل ذلك بما ذكرناه من أنّ السجع تَتْبعه المعاني، والفواصل تتبع المعاني، وهذا غير صحيح، والذي يجب أن يحرّر في ذلك أن يقال: إنّ الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين:

---

[56] الرماني، النكت في اعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، المصدر سابق، ص: 98.

[57] المصدر نفسه، ص: 98.

[58] سورة العاديات،الآية:2.

[59] أبو هلال العسكري، الصناعتين، حقيق: محمد علي هارون، محمد ابو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1952م، ص:261.

ضرب يكون سجعا، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين – أعني المتماثل والمتقارب –من أن يأتي طوعا سهلا وتابعا للمعاني، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو محمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من القسم الثاني فهو مذموم مرفوض [60]، ثمّ ردّ على الرماني فقال:« فأمّا قول الرماني أنّ السجع عيب والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط، لأنّه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى وكأنّه غير مقصود، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلّف، فذلك عيب والفواصل مثله. وكما يعرض التكلّف في السجع عند طلب تماثل الحروف كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف، وأظنّ الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كلّ ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا، رغبةٌ في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب، فأمّا الحقيقة فما ذكرناه، لأنّه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام لكونه مسجوعا[61]».

لقد تناول ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر فن السجع وعقد له فصلا كاملا في كتابه، وقد كان له رأي في ذلك حيث استكره وجود السجع في القرآن الكريم فقال: «فإذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهب إليه فكان ينبغي أن يأتي القرآن كلّه مسجوعا، وليس الأمر كذلك، بل منه المسجوع، ومنه غير المسجوع قلت في الجواب: إنَّ أكثر القرآن مسجوع، حتّى إنّ السورة لتأتي جميعها مسجوعة، وما منع أن يأتي القرآن كلّه مسجوعا إلاّ أنّه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار، والسجع لا يُوَاتى في كلّ موضع من الكلام على حدِّ الإيجاز والاختصار، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب، وههنا وجه آخر هو أقوى من الأول، ولذلك ثَبَتَ أنّ المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع، وإنّما تضمّن القرآن غير المسجوع لأنّ ورودَ غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من وُرُودِ المسجوع، ومن أجل ذلك تضمّن القرآن القسمين جميعا.

واعلم أنّ للسجع سرًّا هو خلاصتُه المطلوبة، فإن عُرِّيَ الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا.

[60] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص:172.

[61] المصدر نفسه، ص174.

وهذا شيءٌ لم ينبِّه عليه أحدٌ غيري، وسأبيّنه ههنا، وأقول فيه قولا هو أبين ممّا تقدّم، وأمثِّل لك مثالا إذا حذوْته أَمِنْتَ الطّاعن والعائب وقيل في كلامك: ليبلغ الشاهد الغائب. والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كلّ واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملةً على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أُختها، كان المعنى فيهما سواءً فذلك هو التطويل بعينه، لأنّ(التطويل) إنَّما هو الدلالة على المعنى بألفاظٍ يمكن الدلالةُ عليه بدُونها، وإذا وردت سجعتان تدلانِ على معنى واحد كانت إحداهما كافية في الدِّلالةِ عليه، وجلُّ كلام الناس المسجوع جار عليه، وإذا تأملت كتابة المفْلِقين ممَّن تقدم، كالصابي، وابن العميد، وابن عباد، وفلان وفلان، فإنَّك ترى أكثر المسجوعِ مِنْه كذلك، والأقلّ منه على ما أشرت إليه[62]».

ثمّ أشار إلى الكلام المسجوع على أنّه يحتاج إلى شروط هي:

الأول: اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الذي أشرت إليه فيما تقدّم.

الثاني: اختيار التركيب على الذي أشرت إليه أيضا فيما تقدّم.

الثالث: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى، ولا المعنى تابعا للفظ.

الرابع: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعَتَيْنِ دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها[63].

وأمّا التنوخي فإنّه عقد فصلا تناول فيه السجع في القرآن الكريم، حيث أشار إلى أنّمن عاب السجع مطلقا فقد أخطأ، لأنّ السجع جاء في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، ومن ذلك قوله: «ومن ذلك السجع وعدمه بحسب مواضعه، ومن عاب السجع مطلقا فمخطئ، لأنّ السجع في كتاب الله كثير، وفي كلام النبي ﷺ والفصحاء،... وإنّما يعاب السجع إذا احتاج متكلّفه إلى تنقيص المعنى أو زيادته وفعل ذلك، فالذي فاته من المعنى يقبح وترك السجع لا يقبح في كون حينئذ السجع قبيحا، لاستلزام القبح وبهذا يجاب عن قول النبي ﷺ أسجعا كسجع الكهان، فإنّه لوعاب السجع مطلقا لما نطق به ولا يمكنه أن يعيبه لمجيئه في كتاب الله تعالى كثيرًا، فالمعيب هو سجع مخصوص، وهو الذي مثّله بسجع الكهان، وهو الذي ينقص المعنى أو يزده... والسجع في الكلام المنثور أن تجعل مقاطعه وفواصله على روي واحد، وقافية واحدة، كضرب الشعر[64]»، ثمّ قال: وأجود السجع ما

[62] ضياء الدين بن الثير، المثل السائر، تعليق بدوي طبانه، وأحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، (د.ت)، 215/1.

[63] انظر: المصدرنفسه،ص:215.

[64] زين الدين ابي عبد الله المعرف بالتنوخي، الأقصى القريب، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1909م،ص:111.

تساوت فصوله، ثمّ الذي يزيد الفصل عمّا قبله، زيادة لا تبلغ حد التنافر بين الفصلين في الطول والقصر، فأمّا ما نقص فيه الفصل عمّا قبله فقد قيل أنّه قبيح وليس يقبح مطلقًا، بل إذا حصل التنافر، فلا فرق بين أن يزيد الثاني عن الأول، أو ينقص إذا لم يحصل التنافر وقد جاء جميع ذلك في القرآن العزيز وأمثِلَتُه كلّها في سورة الضحى[65]»، وبذلك يقول التنوخي أنّ السجع واقع في القرآن الكريم، بشرط أن لا يخل بالمعاني.

وأمّا يحي بن حمزة بن علي العلوي: فإنّه ير بأنّ السجع من علوم البلاغة كثير التَّدْوار وقد عرفه(أي السجع) بقوله: "اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعها"، ويرى فيه مذهبين:

المذهب الأول: جوازه وحسنه، وهذا هو الذي عول عليه علماء أهل البيان والحجة على جوازه في القرآن الكريم أنّه جاء في كتاب الله تعالى والسنة النبوية، وكلام أمير المؤمنين مملوء منه وكلام البلغاء، فلو كان مستكرها لما ورد في هذا الكلام البالغ في الفصاحة كلّ مبلغ ولأجل كثرته في ألسنة الفصحاء، لا يكاد بليغ من البلغاء يرتجل خطبة ولا يحرر موعظة إلا ويكون أكثرها مبنيا على السجع.

المذهب الثاني: استكراهه، وهذا شيء حكاه ابن الأثير، ولم أعرف قائله، ولا وجدته فيما طالعت من كتب البلاغة، ولعلّ الشبهة لهم في استكراهه ما ورد عن الرسول ﷺ لمّا أوجب في الجنين غرةٌ، عبدا أو أمة، فقال الذي أوجبها عليه " كيف تَدِى من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، مثل ذلك بطل" فقال ﷺ: « أسجعا كسجع الكهان »فأنكر السجع على من تكلّم به، وفي هذا دلالة على استكراه.

والجواب أن نقول: إنّه لم ينكر السجع مطلقا، وإنّما أنكر سجعا مخصوصا، وهو سجع الكهان؛ لأنّ أكثر أخبارهم عن الأمور الكونية، والأوهام الظنية، على جهة السجع وتطابق أعجاز الألفاظ كما تراه يحكى عن شق وسطيح، وغيرهما من الكهان، والمختار قبوله، ولولم يكن جائزا في البلاغة لما أتى عليه أفصح الكلام وهو التنزيل، ولما جاء في كلام سيِّد البشر وكلام أمير المؤمنين؛ لأنّ هذه أعظم الكلام بلاغة وأدخلها في الفصاحة، فلا يمكن ترك هذا الأسلوب من الكلام لقصة عارضة من جهة الرسول يمكن حملها على وجه لائق كما أشرنا إليه[66]».

---

[65] المصدر نفسه، ص:111.

[66] يحي بن حمزة العلوي اليمني، الطراز، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1، 2002، 12/3.

والواضح من كلام العلوي القول بجواز السجع في القرآن الكريم، ويرى أنّ السجع منقسم إلى ما يكون طويلا، وإلى ما يكون قصيرا، فأمّا القصير فهو أوعر أنواع التسجيع مسلكا، وأصعبها مدركا، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع، لأنّ الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرق، لأنّها إذا كانت أطرافها متقاربة لذَّتْ على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها، ومن هذا النوع القصير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾[67] ومنه أيضا ما جاء في صدر سورة المدثر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾[68]، ثمّيضع العلوي شروطا، لأنّ المقصود عنده من السجع في الكلام ،إنّما هو الاعتدال الذي هو مقصد العقلاء يميل إليه الطبع وتتشوق إليه النفس، لكنّه لا يحسن كلّ الحسن، ولا يصفو مشربه إلاّ باجتماع شرائط، وهذه الشرائط منها ما يعود إلى المفردات على أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق، رطبة صافية على السماع حلوة طيبة، رنانة تشتاق إلى سماعها الأنفس ويلذ سماعها على الآذان، مجنبة الرداءة، ثمّ منها ما يعود إلى التراكيب، وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة في تراكيها تابعة لمعانيها، ولا تكون المعاني فيها تابعا للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه وباطنة التشويه ويصير مثاله عمد ذهب على نصب من خشب، وثالث هذه الشروط أن تكون تلك المعاني الخاصة عن التراكيب مألوفة غير غريبة ولا مستنكرة، ولا ركيكة مجتها الأسماع، وأمّا الشرط الرابع أن تكون كلّ واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذي دلت عليه الأخرى[69].

وبعد هذا نجد بعض من هم مطمئنون إلى ما ذهب إليه المجيزون أمثال أبي هلال وابن سنان وغيرهما بشرط احتياطاتهم التي وضعوها، وذلك لحسن موقعه في السمع، وتأثيره في النفس، وسهولته في الحفظ، ولا يرون مانعا من إطلاق اسم السجع على ما في القرآن من فواصل، مادام لم يرد نص شرعي صريح يمنع من ذلك كما قال ابن سنان الخفاجي[70].

أمّا من يعارض وجود السجع في القرآن الكريم أمثال الرماني الذي نظر إلى مصطلح السجع فوجده مأخوذا من سجع الحمامة الذي ليس فيه إلا الأصوات، ثمّ أنّه له ارتباط قوي مع الجاهلية، وخاصة سجع الكهان، الذي أبطله الإسلام، وأمّا أبوهلال العسكري فنراه لم ينكر

[67] سورة المرسلات،الآية:1، 4.

[68] سورة المدثر،الآية:1،7.

[69] انظر: لعلوي، الطراز، مصدر سابق،3/، 14.

[70] انظر: أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر،(د،ط)، 1969م، ص:48.

السجع، بل نجده يستعمل المصطلحين معا، الفواصل إلى جانب السجعفي القرآن الكريم، غير أنّ الأمر بلغ حدّه عند الباقلاني الذي نفى السجع أن يكون في القرآن الكريم، حيث قال: وهذا الذي يزعمونه غير صحيح، ولوكان القرآن سجعا، لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك الإعجاز، ولو جاز أن يقولوا سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز، وكيف والسجع ممّا كان ألّفه الكهان من العرب؟ ونفيه من القرآن أجدر[71].

المبحث الثاني: ظواهر الإعجاز البلاغي في الفواصل القرآنية :

إنّ القرآن الكريم الذي عجز العرب عن معارضته، لم يخرج عن سنن كلامهم، ألفاظا، وحروفا، وتركيبا وأسلوبا، ولكنّه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الاسمية، والفعلية، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، إلى غير ذلك من أوجه البلاغة والبيان، وهذه النظائر وغيرها كثير، بلغ القرآن ذروة الإعجاز أمام القدرة اللّغوية لدى البشر.

والموضوع بهذه النظرة مُتّسع، والمقام لا يسمح بذلك، وغايتنا في هذا المقام، الوقوف عند بعض الظواهر البلاغية في الفاصلة القرآنية، والتي تمثّل وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ونحن هنا نقف عند ثلاث ظواهر فقط، وهي: التقديم والتأخير، التأكيد، والإظهار في موضع الإضمار في فواصل القرآن .

المطلب الأول: التقديم والتأخير في الفواصل القرآنية :

من خلال تتبّع ظاهرة التقديم والتأخير، تبيّن لنا أنّه أحد أساليب البلاغة عند العرب، حيث إنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق[72]، في فواصل القرآن الكريم، خاصة في سورة البقرة حيث إفادة الاهتمام بالمقدّم والاختصاص، إلى جانب الإيقاع اللفظي وإجراء الفواصل، وغالبا ما يكون التقديم والتأخير بتقديم المعمول وتأخير العامل ليكوّن فاصلة تحمل صورة التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة، وقد جاء التقديم والتأخير في فواصل متعددة في سورة البقرة منها:

[71] انظر: المرجع نفسه، ص:48.

[72] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص:770.

1. تقديم الجار والمجرور على العامل فيهما:

وهذا الضرب من التقديم، أكثر أنواع التقديم في فواصل سورة البقرة، مع تأخير العامل، وقد يكون فعلا وقد يأتي اسما يعمل عمل الفعل بشروط، كأسماء الفاعل، أو المفعول، أو صيغ المبالغة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[73]، والتقدير: وينفقون ممّا رزقناهم. قال محمد الطاهر ابن عاشور: « وتقديم المجرور المعمول على عامله وهو ينفقون لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس، فيكون في التقديم إيذان بأنّهم ينفقون مع ما للرزق من المعزَّة على النفس كقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[74]، مع رعي فواصل الآيات على حرف النون، وفي الإتيان بمِنْ التي هي للتبعيض إيماء إلى كون الإنفاق المطلوب شرعا هو إنفاق بعض المال لأنّ الشريعة لم تكلّف الناس حرجا[75]»، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[76]، وتقديره: وهم يوقنون بالآخرة، تقديم للمجرور الذي هو يوقنون على عامله، وهو تقدير لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة، وأرى أنّ في هذا التقديم ثناءٌ على هؤلاء بأنّهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن، فليس التقديم بمفيد حصرا إذ لا يستقيم معنى الحصر هنا بأن يكون المعنى أنّهم يوقنون بالآخرة دون غيرها، وقد تكلّف صاحب الكشاف وشارحوه لإفادة الحصر من هذا التقديم، ويخرج الحصر عن تعلّقه بذات المحصور فيه إلى تعلّقه بأحوال هذا غير معهود في الحصر»،[77] وقد يكون العامل صيغة مبالغة مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[78]، وهذه الألوان من التقديم والتأخير مرتبطة بالسياق، وبالدلالة والإيقاع معاً، وحين لا تحتاج الفاصلة إليها تأتي على الأصل دون تقديم وتأخير ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[79]، هنا جاءت الفاصلة بالإيقاع المراد، فرتبت الجملة على الأصل من المبتدأ والخبر ومعمول الخبر.

---

[73] سورة البقرة، الآية:3.

[74] سورة الإنسان، الآيتان:3و 8.

[75] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م، 236/1.

[76] سورة البقرة، الآية:4.

[77] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج1، ص:242.

[78] سورة البقرة، الآية :271

[79] سورة البقرة، الآية:19.

2.تقديم شبه الجملة الواقعة خبرعلى المبتدأ :

مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[80]، وكذلك أيضا: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[81]، لقد جاء المبتدأ في المثالين نكرة موصوفة، والنكرة الموصوفة لا يجوز الابتداء بها، وتقديمها في الرتبة، لذلك جاء المبتدأ مؤخرا، ويعود ذلك إلى الدلالة والإيقاع، حيث يريد إثبات العذاب للكافرين واختصاصه بهم واختصاصهم به من خلال التقديم، ثمّ إحداث الإيقاع مع الفواصل الأخرى في السياق.

وكذلك تقديم الظرف على عامله، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[82]، ويقول محمد الطاهر ابن عاشور: «وقوله: (فقليلا ما يؤمنون) تفريع على "لَعَنتهم "وقليلا صفة لمحذوف دلّ عليه الفعل والتقدير: فإيمانا قليلا وما زائدة للمبالغة في التقليل، والضمير لمجموع بني إسرائيل، ويجوز أن يكون قليلا صفة للزمان الذي يستلزمه الفعل، أي: فحينا قليلا يؤمنون، وقليلا يجوز أن يكون باقيا على حقيقته مشارا به إلى إيمانهم ببعض الكتاب أو إلى إيمانهم ببعض ما يدعو له النبيء ﷺ[83]» .

3.تقديم المفعول به على الفاعل:

الجملة العربية سواء كانت اسمية، أم فعلية، لها نظام معين، حيث المعتاد فيها أن يتقدّم الفعل على الفاعل، ويقدّم الفاعل ويتأخر المفعول، وكذا يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، وهذا هو الذي درج عليه اللسان العربي، إلاّ إذا وُجِد مانع لفظي ممّا حدّده النحاة، كأن يكون مثلا: المفعول ضميرا متصلا، إذا تأخر وجب اتصاله أو يكون ممّا له حق صدارة الكلام كأسماء الشرط والاستفهام، وغير ذلك ممّا تفصّله كتب النحو عادة، لكن أن يأتي تقديم المفعول بغير ضرورة نحوية، فلابدّ أن يكون لذلك ملمح دلالي استدعاه المقام وتركيب الجملة، ومن شواهد ذلك في الفواصل قوله تعالى: ﴿قَالَ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾[84]، حيث نلاحظ تقديم آل فرعون على الفاعل "النذر" والفواصل في سورة القمر كلّها راء مسبوقة بحرف متحرك، وفي تقديم المفعول إفادة اختصاص بتلك النذر دون غيره في ذلك

[80] سورة البقرة، الآية:90.

[81] سورة البقرة، الآية:104.

[82] سورة البقرة، الآية:88.

[83] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق،600/1.

[84] حمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق،/600/1.

الزمان وهو ما يؤيده مجموع قصص موسى وفرعون في القرآن الكريم. والجدير بالذكر أنّ آل فرعون متقدِّمون في الزمان على النذر التي جاء هم بها موسى، فقدّم ما هو متقدّم في الزمان، ذلك ليس بقاعدة، وإنّما نبحث كلّ سياق على حدة، إذْ المعنى النهائي لابد أن يكون نتيجة الدرس السياقي بكلّ خطواته.

والملاحظ في تقديم المفعول به على الفعل والفاعل بلفظ: (أنفسهم) وقد جاء ذلك في العديد من الآيات، سواء بوجود كان، أم بعدمها وهو صورتان: الأولى بوجودها مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[85]، وكذلك أيضا قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[86] والتركيب بدونكان يتناول جميع الأحوال حاضرة، ومتكرّرة على مرّ الزمان. وممّا يجب ذكره في هذا التراكيب أنّه في أكثر مواضعه تنوعها فتكون مسبوقة بنفي وقوع الظّلم على هؤلاء من الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[87] وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[88]. وقد ورد بعضها بغير ذلك النفي، وما يهمنا هنا هو تقديم المفعول في هذه التركيب جميعا، ولا يخفى أنّ ذلك كلّه لمراعاة الفواصل من جهة الإيقاع، ثمّ للتخصيص بالتقديم، ذلك أنّ في تقديم المفعول على الفعل والفاعل مزيد اختصاص بكونهم هم ظالمي أنفسهم ولم يظلمهم أحد[89]. أو ما كان الله ليظلمهم، فلمّا نفى سبحانه إيقاع الظلم منه بهم، قدّم ذكرهم ليختصهم وحدهم بظلم أنفسهم، وهذا بتقديم المفعول بهم وهذا تسفيه ضمني لعقولهم وتهكم واستهزاء، إذ لا يظلم العاقل نفسه، ثمّ جعل الفاصلة مضارعا لإفادة للتجدّد والاستمرار، وتحقّق مع هذا كلّه الإيقاع الجميل ذو الأثر القوي في إيصال المعنى، وحين لم يحتاج إلى هذا التقديم جاء الكلام على الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[90].

[85] سورة آل عمران، الآية:117.

[86] سورة الأعراف، الأية:197.

[87] سورة البقرة، الآية:57.

[88] سورة هود: الآية:93.

[89] السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية، مكتبة الأدب، القاهرة، ط2، 2009م، ص:100.

[90] سورة هود، الآية:101.

4. تقديم الضمير على ما يفسره:

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[91]، قال الزركشي: «أصل الكلام أن يتّصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول به، لكن أخر الفاعل وهو "موسى "لأجل رعاية الفاصلة. قلت: للتأخير حكمة أخرى، وهي أنّ النّفس تتشوّق "لفاعل" "أوجس" فإذ جاء بعد أن أخر وقع بموقع، والذي سهل هذا التأخير للفاعل عن موقعه مع تقديم ضميره في "نفسه" ـ وهو قليل في العربية ـ كون موسى مذكورًا في الآيات السابقة على هذه الآية، وبهذا التأخير تحقيق الإيقاع كذلك في الفاصلة[92]».

5. تقديم خبر كان على اسمها :

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[93]، الأصل في اللغة «أن لا يتقدّم خبر كان على اسمها في القرآن إلاّ نادرا، غالبا ما يكون ذلك حين يكون الخبر شبه جملة كما في الآية السابقة، أو يكون الاسم مصدرا مؤولا محصورا بإلّا مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[94]، أمّا أن يكون الاسم والخبر معا اسمين ظاهرين فالمعتاد سبق الاسم الخبر، ولكن جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[95]، ذلك أنّ الفواصل في هذه «السورة دالية أي: مختومة بحرف الدال الساكن المقلقل للوضوح السمعي حسب قواعد التجويد، هذا مع ما في التقديم من نكتة بلاغية، ذلك أنّ الآية مسوقة لنفي المكافأة والمساواة عن الله تعالى، فنفي المكافأة هذه هو المراد الأصلي، فجيء بها مع الجار والمجرور وجيء بالاسم نكرة مؤخرة للعموم والشمول، فليس أحد كائنا من كان ندًا لله تعالى.»[96].

---

[91] سورة طه، الآية:67.

[92] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص:57.

[93] سورة الإسراء، الآية:93.

[94] سورة الجاثية، الآية:25.

[95] سورة الإخلاص، الآية1.

[96] سورة الإخلاص،الآية1.

المطلب الثاني: أسلوب التوكيد:

تكمن أهمية أسلوب التوكيد من حيث إنّه من أهم مباحث علم المعاني، وهو علم عظيم الفوائد إلى جانب أنّه واحد من الأساليب البلاغية التي تزيد المعنى قوة ورصانة، وقيل: أنّه تابع يذكر تقريرا لمتبوعه، بغية رفع احتمال إرادة المجاز، أو رفع احتمال السَّهو والغلط وهو قسمان: التوكيد اللفظي، ويكون بإعادة اللفظ، أو إعادة مرادفه، سواء أكان اسما أم فعلا، أم حرفا، أم جملة، أمشبه جملة. والثاني التوكيد المعنوي، وله ألفاظ خاصة في ذلك.[97]

أمّا من الناحية البلاغية فإنّه يؤتى بالتوكيد لأغراض بلاغية تفهم بحسب المقام، والمناسبات القولية والعلاقة بيت المتكلمين، ليست بجديدة على الدرس العربي، بل تعد الأساس الذي ينبني عليه تأليف الجملة، وقد قيل التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات، عمّا أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد وله مجريان:

المجرى الأول: عام وهو يتعلّق بالمعاني الإعرابية وينقسم إلى لفظي ومعنوي .

والمجرى الثاني: خاص يتعلّق بعلوم البيان، ويقال له التكرار أيضا، وليس يخفى موقعه البليغ وعلوم كأنّه الرفيع، وكم من كلام هوعن التحقيق طريد، حتّى يخالطه التأكيد. [98]

وهذا تحتاج إليه النفس حين تتردد تصير في حاجة إلى قدرة من التوثيق، وإن الأمر له علاقة بما وقر في ذهن المخاطب من قوة المعنى، أو تردد أو إنكار، فيعتمد إقناع المخاطب حينئذ على قوة العبارة وتوكيدها بأحد المؤكدات، « وهذا التوكيد يختلف قلّة وكثرة على وفق أحوال الإنكار؛ لأنّ وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الرافضة له، فلا مفر من أنتكون قوة العبارة، ووثاقتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع[99] ».

وقد جاء التوكيد في فواصل الآيات على حسب أحوال المنكرين، فإن كان إنكاره إنكار المتردد أكد بمؤكد واحد، وكان إنكاره مستحكما تضاعفت عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار؛ لأنّ وظيفة التوكيد حينئذ هي تثبيت هذا المعنى عند من يرفض الخبر، فلا مفر من أن تكون العبارة من القوة بحيث تقنع المخاطب .

---

[97] عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلة، دمشق، سوريا، ط1، 1996م، 1/465-466.

[98] يحي بن حمزة العلو، الطراز، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1،2002، 2/94.

[99] المصدر نفسه ،2/94.

إنّ التوكيد في فواصل الآيات جاءت في حركة مرنة، وتنوُّعٍ يتناغم مع حركة المعنى ورسوخه في النفس البشرية، فهو يكشف عن خبايا النُّفوس حين تحتاج إلى ما يزيل تردُّدها. فالأسلوب في كلّ الأحوال يجب أن يُراعي حال المخاطَب، فإذا كان المخاطب خالي الذهن يساق الكلام من غير توكيد للمتردِّد الشاك، ويضاعف التوكيد للمنكر، ويسمى الأول الابتدائي، والثاني الطلبي، والثالث الإنكاري.

لذلك اختلف التأكيد من موقع لآخر، فهناك فواصل جاءت مؤكدة بمؤكد واحد، في أغلب الأحيان يكون الحرف (إنَّ)، وهناك فواصل اشتملت على مؤكّدين(إنَّ واللام)، أو مؤكدة بـ(إنَّ وضمير الفصل)، وهناك فواصل جاءت مؤكدة بثلاثة مؤكدات .

ومن خلال تتبعي للفواصل في القرآن الكريم حسب ورودها بالكثرة لا على سبيل الحصر، ثمّ على ما يتصل بالجانب البلاغي لا على الجانب النحوي نظرة إليها من زوايا أربع، وهي:

1ـ التأكيد بـ(إنَّ، أنَّ)، ويقال: أنّ أداة التوكيد(إنَّ) تكون في الغالب في المواطن التي يعجز غيرها فيها، ولا يحسن فيها سواه، غير أنّ عبد القاهر الجرجاني، يرى فيها أنّ الأمر أكثر من ذلك ولا يتوقّف عند نظرة علماء البلاغة الأوائل، وإنّما الأمر أدل على«أن ليس سواء دخولُها، وأنْ لا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت، ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتّحد به. حتى كأنّ الكلامين قد أُفرِغ إفراغا واحدا، وكأنّ أحدهما قد سُبِك في الآخر. هذه هي الصورة، إذا جئت إلى (إنَّ) فأسقطتها رأيت الثاني منها قد نَبا عن الأوَّل وتجافى معناه عن معناه، ورأيتَه لا يتصلبه، ولا يكون منه سبيل حتى تجئَ بالفاء ....ثم لاترى الفاء تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه من الألفة، ولا تردُّ عليك الذي كنت تجد بـ(إنَّ) من المعنى[100] ».

وأَنَّى يمكن أن يحسن غيرها في مكانها، ولو كانت فقط لربط الكلام بعضه ببعض لحسن غيرها من حروف الربط؛ ولكنَّها تحمل ما لا يحمله غيرها من معان، ولذا نرى الزركشي يقول: «واعلم أنّ كلّ جملة صدرت بأنَّ مفيدة للتعليل وجواب سؤال مقدر[101] »، وما يكون التعليل إلاّ حينما تتشوّق النّفس لحاجة عند تزاحم المعاني، وتدافعها في ذهن المتلقي حينئذ يستوجب التعليل أيضا.

[100] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق، محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، ص:243.
[101] المصدر نفسه، ص:243.

وفي كل الأحوال التي تأتي فيها (إنَّ) في فواصل القرآن الكريم، فإنّها دائما مِنَ الحُسْن في مقامها، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، أو استبدالها بغيرها، لما لها من قدرة على ربط الكلام بعضه ببعض، وهي إضافة إلى ذلك التعليل في أغلب مواضعها مثل قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[102]. حيث كان التوكيد بـ(إنَّ) والمراد به في هذا المقام ليس المقصود بها رد الإنكار، وإنّما إفادة الخبر وتأكيده، وهي في ذات الوقت تغني غناء فاء الترتيب، وتفيد التعليل وربط الكلام بما قبله كما تفيد الفاء، يقول محمد الطاهر ابن عاشور: «ولمّا ذكر العموم عقب أمره بالاستغفار، أفاد أنّه إذا استغفره غفر له دلالة تقتضيها متتبعات التراكيب، فأفادت هذه الجملة تعليل الأمر بالاستغفار؛ لأنّ الاستغفار طلب الغفر، فالطالب يترقب إجابة طلبه، وأمّا ما في الجملة من الأمر بالتسبيح والحمد فلا يحتاج إلى تعليل لأنّهما إنشاء تنزيه وثناء على الله[103]»، ربّما يكون حرف(إنَّ) يحتاج إلى التأمل أكثر، لأنّه قد يكون يفيد التعليل في جميع مواضع تواجده في القرآن الكريم، ويحسُنُ التأمل في ذلك، لِيشعرَ المتأمل بارتياحه من وضع هذا الحرف موضعه من السياق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[104]. يقول الطاهر ابن عاشور: «وجملة إنّ الله عليم بذات الصدور تذييل للتحذير من إضمار المعاصي، ومن توهّم أنّ الله لا يعلم إلاّ ما يبدو منهم. وحرف(إنَّ) أفاد أنّ الجملة علَّة لما قبلها على الأسلوب المقرر في البلاغة في قول بشار: إنَّ ذاك النجـــاح في التبكـير[105]».

وكذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[106]. وجملة ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ معطوفة على الجملة السابقة: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[107]، لأنّها جملة الأخبار المسوقة لبيان عناية الله تعالى بالمسلمين وللامتنان عليهم، فالمناسبة بينها وبين الجملة التي قبلها، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌحَكِيمٌ﴾ فجواب للشرط باعتبار

[102] سورة النص، الآية:3.
[103] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص:597.
[104] سورة المائدة، الآية:7.
[105] الطاهر ابن عاشور، صدر سابق،ص:134.
[106] .سورةالأنفال،الآية:49.
[107] سورةالأنفال،الآية:48.

لازمه وهو عزّة المتوكِّل على الله وإلفائه منجيا من مضيق أمره، فهو كناية عن الجواب، وهذا من وجوه البيان وهو كثير الوقوع في القرآن، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[108].

2 ـ **التأكيد بـ(إنَّ، واللام المزحلقة):**

وقد جاء هذا النوع من التأكيد في بعض الآيات، وتسمى هذه اللام المزحلقة، وهي حرف توكيد، تؤكد مضمون الجملة. قيل عنها المزحلقة، لأنّها زحلقوها عن صدْر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين، وإذا جاءت مع إن كانت بمنزلة تكرار ثلاث مرات، لأنّ (إنَّ) أفادت التكرار مرتين، فإذا دخلت اللام صارت ثلاثا. وجاء مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[109]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[110]، وكذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[111]، وحرف التوكيد في هذه الفواصل هو اللام المزحلقة.

3 ـ التأكيد: بـإنَّ، وضميرا الفصل: هو، هم:

يقوم ضمير الفصل "م" بأدوار عظيمة لا يقوى غيره على القيام بها، وسمي ضمير الفصل، لأنّه من العادة يفصل بين الخبر والصفة، وذلكإذا قلت: زيد هو القائم، فلو لمتأت بـ(هو)لاحتمل أن يكون القائم صفة لزيد، أو خبرًا عنه، فلما أتيت بـ(هو)تعيّن أن يكون القائم خبرًا عن زيد[112]، وقد جاء هذا الضرب من الفواصل في ربعة مواضع، منها ما جاء في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[113] وكذلك أيضا قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[114]، ويظهر جمال ضمير الفصل في النص القرآني، خاصّة في مقام الفواصل المشتملة على أسماء الله الحسنى، تنبع من أنّه يرد في سياقات معيّنة، يحصر فيها معاني الصفات على المولى جلّ شأنه تعالى وحده، وينفيها عمّن سواه، ولئن كان هناك من يعتقد أنّ هناك ما يحتمل اشتراك مع الله في فعل ما، فإنّ ضمير الفصل يخلص المعنى من أوهام أهل الشرك، ويجعل الله الواحد الأحدّ.

---

[108] سورةالأنفال،الآية:63.

[109] سورة الأنفال، الآية:42.

[110] سورةالتوبة، الآية:42.

[111] سورةالتوبة، الآية: 107.

[112] أنظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دون ذكر الطبعة، 1980،1/372.

[113] سورة النفال،الآية:61.

[114] سورة التوبة،الآية:67.

4. التأكيد بطرق أخرى:

هناك طرق عديد يتمّ بها التأكيد، والمقام لا يتّسع لتناول جميع الأوجه وأقسام التوكيد فقد يكون مثلا: بـ(قد)، أو "اللام الدالة على القسم المقرونة بـ(قد" أو حرف التسويف، والسين التنفيسية، والحصر، ونوني التوكيد الخفيفة والثقيلة، وكذلك "لكن" وغيرها من أدوات التوكيد.

المطلب الثالث: الإظهار في مواضع الإضمار:

هذا الفن البلاغي ينظر إليه في علم المعاني على أنّه أحد أهم فنون البلاغة الثلاثة، وحين يذكره البلاغيون يجملون القول عنه في باب أحوال المسند إليه وتحت عنوان خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وحقيقة الأمر أنّ للمسند إليه ضوابط وقواعد ينبغي أن لا يخرج عنها، ولكنّه حين يخرج عن تلك القواعد والأصول، إنّما يخرج لفائدة بلاغية تراد من هذا الخروج، وهذا الفن هو أحد ما امتازت به اللغة العربية من حيث وفرة الأساليب التي تظهر القيمة البلاغية في اللغة العربية، والقرآن الكريم جاء محاكيا للغة العرب، وما يعرفونه من الأساليب البلاغية المتداولة في البيئة بمختلف اللغات العربية المعروفة.

غير أنّ القرآن الكريم قد يأتي أحيانًا بأساليب جديدة، وطرق التعبير تجانب المألوف عندهم، وذلك لحكمة يقول الزركشي: «اعلم أنّ الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك. والأصل أنّه إذا ذكر ثانيًا أن يُذكر مضمرًا للاستغناء عنه بالظاهر السابق »[115]، فيأتي القرآن مظهرا للاسم في موضع الإضمار؛ لأنّ الحكمة تقتضي ذلك لكون الاسم الظاهر له تأثيرٌ أقوى على النفس من الاسم المضمر، وهذا يتّضح من خلال قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[116]، وقوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ ﴾، أي: لأمر النبوة التي معها من خوارق العادة ما معها، أو للإسلام المفروق بين المرء وزوجه وولده أو القرآن الذي تتأثر به النفوس على أنّ العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالأول معناه، وبالثاني نظمه المعجز(لما جاء هم)من غير تدبّر، ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على إمعانهم في الكفر، ويقول الطاهر ابن عاشور في قوله تعالى:

[115] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق،ص:604.

[116] سورة سبأ،الآية:43.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ «ولم يقل: وقالوا للحق لما جاءهم للدلالة على أنّ الكفر هو باعث قولهم هذا، وأظهر المشار إليه اسم الإشارة في قوله: ﴿لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ لأنّه لا دليل عليه في الكلام السابق، أي: إذ أظهر لهم ماهُو حق من إثبات للتوحيد، أو إخبار عن الغيب، أو البعث قالوا: ما هذا إلاّ سحر مبين، فالمراد من الحق: ما هو أعم من آيات القرآن؛ لأنّ السحر له أسلوبان: أحدهما شعوذة الأقوال التي لا تفهم مدلولاتها، يختلقها السحرة ليوهموا الناس أنّفيها مناجاة مع الجن ليمكنوهم من عمل ما يريدون، في سترهبوهم بذلك، وثانيها: أفعال لها أسباب خفية مستورة بحيل خفية لها أيدٍ تحركها فيوهمون بها الناس أنّها من تمكين الجن إياهم التصرف في الخفيات، فإذا سمعوا القرآن ألحقوه بالأسلوب الثاني كما قالت المرأة التي شاهدت معجزة تكثير الماء في بعض غزوات النبي ﷺ، فقالت: (أتيت أسحر الناس، أو هو نبيء كما زعموه) ومعنى(مبين) أنّه يظهر منه أنّه سحر فتبيينه كنهه من نفسه، يعنون أنّ من سمعه يعلم أنّه سحر، وجملة(وقال الذين كفروا) معطوفة على جملة(وإذا تتلى)»[117]

ولا يختلف كثيرًا الطاهر ابن عاشور عمّا ذهب إليه ابن الأثير حين قال في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

ولم يقل: وقالوا، كالذي قبله للدلالة على صدور ذلك عن إنكار عظيم، وغضب شديد، وتعجب من كفرهم بليغ، لاسيما وقد انضاف إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ وما فيه من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وما في ذلك من المبادهة كأن قال: وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين قبل أن يتدبروه: إن هذا إلاّ سحر مبين »[118]

وربما هذه النظرة التي نجدها عند ابن الأثير يكون قد استمدّها من الزمخشري عند حديثه عن هذه الآية، فقد نبّه فيها إلى كثير من الطائف .

[117] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص:227.

[118] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، دار نهضة مصر، تقديم أحمد الحوفي ، بدوي طبانه، دون ذكر الطبعة والسنة،2/.

والمعرف في الدراسات البلاغية أنّ للمظهر مقامه، وللمضمر مقامه، فإذا ورد اللفظ مظهرا في موضع، ثمّ امتدّ الحديث عنه بعد ذلك، فالمناسب أن يرتبط هذا الحديث بضميره العائد عليه، ولكنّنا نلاحظ أحيانا أنّ هذا المظهر الذي ذكر أولا يعاد ذكره مرة ثانية بلفظه مع إمكان الاستغناء عنه بضميره، وذلك لا يكون إلاّ لأسباب واعتبارات معينة تستدعي هذا الإظهار بدلا من الإضمار؛ لأن هناك فرقا بين أن يدل على الشيء بضميره الذي هو كناية عنه، وأن يدل عليه بصريح لفظه لما في هذا اللفظ الصريح من خصوصية معيّنة تساعد على الوفاء بالغرض المقصود من الكلام، لأنّ هناك قدرا كبيرا من التأثير يظل الاسم محتفظا به، ولا يستطيع الضمير حمله نيابة عنه، لأنّه يتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه وارتباطاته المختلفة كلّ الاختلاف والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات والأحداث[119].

ونحن في مقام الحديث عن وقوع المظهر موقع المضمر، مرتبط برعاية الفاصلة القرآنية، حيث إنّ هذا العدول عن الظاهر ساعد على أنتكون فاصلة الآية الكريمة متّفقة مع الفواصل الأخرى، بينما لو استغنى بالضمير عن الظاهر كما هو الأصل في التعبير لا تتحقّق رعاية الفاصلة، ولكنّنا معنيون في البحث ببيان الأسرار والدواعي التي استدعت مخالفة الكلام لمقتضى الظاهر قبل تحقّق المناسبة في الفواصل، وهذا ما يعنينا في هذه الجزيئة من هذ البحث.

لقد تناول الزركشي بلاغة وضع الظاهر موضع المضمر، ويرى أنّ هذا الخروج على خلاف الأصل له أسباب ومظاهر بلاغية، نذكر في هذا المقام بعض الأغراض على سبيل الاستدلال فقط.

ومن بين هذه الأغراض التعظيم مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾[120] يقول الطاهر ابن عاشور: «وإظهار اسم الجلالة في الجمل الثلاث لقصد التنويه بكل جملة حتى تكون مستقلة الدلالة غير محتاجة إلى غيرها...واعلم أنه ليس التكرير بمقصور على التعظيم، بل مقامه كلّ مقام يراد تسجيل انتساب الفعل إلى صاحب الاسم المكرر»،وأمّا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[121] فأعاد

[119] انظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، مكتبة هيبة، القاهرة، ط4، 1996م، ص:144

[120] سورة البقرة،الآية:282.

[121] سورة المجادلة،الآية:22.

ذكر(الرب) لما فيه من التعظيم والهضم للخصم، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾[122]، قال الطاهر ابن عاشور: « صنف منهم أصحاب الميمنة، وهم الذين يجعلون في الجهة اليمنى في الجنة أو في المحشر، واليمين جهة عناية وكرامة في العرف، واشتقت من اليمْن، أي البركة، وصنف أصحاب المشأمة وهي اسم جهة مشتقة من الشؤم وهو ضد اليمن، فهو الضّر وعدم النفع، وقد سميا الآية الآتية (أصحاب اليمين) و(أصحاب الشمال)، فجعل الشمال ضد اليمن، كما جعل المشأمة هنا ضد الميمنة، إشعارا بأن حالهم حال شؤم وكل ذلك مستعار لما عرف في كلام العرب»[123].

وممّا يدل على زيادة التقدير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[124]. بعد قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[125]، ويدل علىإرادة التقدير، ولما أريد تقدير كونه (الله) أعيد بلفظ الظاهر دون ضمير.

وحتّى نتمكّن من إظهار الأغراض التي وقع فيها وممّا يدل على إحلال الظاهر موقع الضمير والتنبّه على علة الحكم قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[126]، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: فإنّ الله عدولهم، وهذا الظاهر لا تتحقّق به رعاية الفاصلة كما هو واضح كما أنّه يأتي قبل ذلك أنّ إظهار اسم الكافرين فيه تسجيل الكفر عليهم وبيان أنّهم استحقّوا هذه العداوة بسبب الكفر، وإن كانت هذه الأخيرة(العداوة) مذكورة قبل ذلك لكنّها وردت هنا مقترنة بالكفر فأفاد ذلك أنّه سببها إفادة صريحة تساعد على التنفير من الكفر وبيان جرمه قال الزمخشري: «أراد عدوًّا لهم فجاء بالظاهر ليدل على أنّ الله إنّما عاداهم لكفرهم، وأنّ عداوة الملائكة كفر،وإذا كانت عداوة الأنبياء كفراً فما بال الملائكة وهم أشرف. والمعنى: من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشدّ العقاب»[127].

---

[122] سورة الواقعة، الآيتان:8و9.

[123] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصد سابق،ص:285.

[124] سورة الإخلاص،الآية:2.

[125] سورة الإخلاص،الآية:1.

[126] سورة البقرة،الآية:98.

[127] الزمخشري، تفسير الكشاف، مصدر سابق،ص:89.

ومن بين هذه الأغراض أن يكون في التأخير إخلال بوضوح المعني، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾[128]،فإنّه لو أخّر قوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ عن قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ ليتوهم أنّه من حقه بكتم ليكون المعنى أنّ الرجل يكتم إيمانه من آل فرعون فلا يفهم منه[129]، وقال الزركشي أنّ من الأسباب كون التأخير مانعا، مثل الإخلال بالمقصود كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[130]، بتقديم الحال أعني﴿مِن قَوْمِهِ﴾ على الوصف أعني﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ولو تأخّر لتوهّم أنّه من صفة الدنيا؛ لأنّها ههنا اسم تفضيل من الدنو، وليست اسمًا، والدنو يتعدّى بـ(من) وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أنّهم من قومه أملا؟ فقدِّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود؛ وهو كون القائلين من قومه، وحين أَمِنَ هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[131]، بتأخير المجرور عن صفة المرفوع[132].

وقد يكون التأخير فيه إخلال «بالتناسب، فيقدّم لمشاكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[133]، بتقديم (إياه) على(تعبدون) لمشاكلة رؤوس الآي، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[134]، فإنّه لو أخر﴿فِى نَفْسِهِۦ﴾ عن﴿مُّوسَىٰ﴾فات تناسب الفواصل، لأنّ قبله ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾،[135] وبعده﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[136]....»[137].

---

[128] سورة غافر،الآية:28.

[129] انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق،ص:770.

[130] سورة المؤمنون،الآية:33.

[131] سورة المؤمنون، الآية:24.

[132] انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص:771.

[133] سورة فصلت، آية:37.

[134] سورة طه، الآية:67.

[135] سورة طه، الآية:139.

[136] سورة طه، الآية:68.

[137] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص:771.

خاتمة:

وبعد هذه الجولة المباركة في رحاب القرآن الكريم وفواصله، والتي ركزت فيها على أثر توافق الفواصل وما تحدثه من خلال بعض الظواهر البلاغية في بناء الفاصلة.

تناولت في البداية ماهية الفواصل وما جاء فيها من أقوال علماء البلاغة من القدامى والمحدثين، ثمّ موقف هؤلاء من مصطلحي السجع والفاصلة، بين من يقول بالسجع في القرآن الكريم، وبين من يرى أنّها فواصل تختص بالقرآن دون سواه،.

ثم ركّزت على بعض الظواهر البلاغية في بناء الفاصلة من تقديم وتأخير، وتوكيد ، والإظهار في محل الإضمار، وذلك من خلال الشواهد القرآنية، وقد تبيّن أنّ هذه التغيّرات لم يقتصر أثرها على المحافظة على التوافق بين الفواصل فإنّها في الغالب لتأدية معنى مراد، فليست الفاصلة مقصودة لذاتها في الغالب، فلو كانت الفاصلة وحدها هي السبب في التغيّرات، فإنّه لن يكون ذلك على حساب المعنى، أو القواعد المتّفق عليها، وإنّما الأمر كثر من ذلك بكثير، لأنّ ما رأيناه من إحكام في الصياغة القرآنية فوق القدرة البشرية وفوق اللغة المتداولة عن العرب في نثرهم وشعرهم، لذلك قال عزّ وجلّ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[138]، ولقد كان للمحافظة على التوافق بين الفواصل القرآنية مع مراعاة المعنى والظواهر البلاغية أثر قوى في خضوع العرب وإسلامهم، لأنّ ما وجدوه في القرآن الكريم فوق طاقتهم اللغوية لا وجه للمقارنة هنا مطلقًا.

[138]. سورة هود، الآية:1.

المصادر والمراجع:

القرآن الكـريم
1. ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الهلال، بيروت-لبنان، دون ذكر الطبعة، 1985م.
2 . ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1982م.
3 . ابن علي بن يعيش النحو، دار الطباعة المنيرة، دون ذكر الطبعة والسنة.
4 . ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دون ذكر الطبعة والسنة،ج4.
5 . أبو القاسم جارالله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1998م.
6 . أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف ،القاهرة- مصر، دون ذكر الطبعة والسنة.
7 . أبو عمرو الداني، البيان في عدِّ القرآن، تحقيق :قدوري، الحمد، مركز المخطوطات، الكويت، ط1994،1م.
8 . أبو هلال العسكري، الصناعتين، حقيق: محمد علي هارون، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي،ط1،سنة:1952م.
9 . أحمد أحمد بداوي، من بلاغة القرآن الكريم، دار نهضة مصر، دون ذكر الطبعة والسنة.
10 . ابن منظور، لسان العرب، تحقيق علي شري، دار احياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ط1، 1988م،ج10.
11 . أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر،(د،ط)، 1969م.
12 . بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق، محمد محي الدين ، دار التراث، القاهرة-مصر، دون ذكر الطبعة، 1980م
13 . خضر، فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية، مكتبة الأدب، القاهرة-مصر، ط2، 2009م.
14 -الرماني ،النكت في اعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق، محمد خلف، ط1976،3م.
15. الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
16. زين الدين ابي عبد الله المعرف بالتنوخي، الأقصى القريب، مطبعة السعادة،مصر،ط1909،1م.
17. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت-لبنان، دون ذكر الطبعة والسنة.
18. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، دار نهضة مصر، تقديم أحمد الحوفي، بدوي طبانه، دون ذكر الطبعة والسنة.
19. ضياء الدين بن الثير، المثل السائر، تعليق بدوي طبانه، وأحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، دون ذكر الطبعة والسنة.
20. الطبري، تفسير الطبري، هجر للطباعة والنشر، القاهرة،-مصر،ط1، 2001م.
21. عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلة، دمشق-سوريا، ط1، 1996م.
22. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق، محمد التنخي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1999م،
23 . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق، محمد التنخي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1999م.
24. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، 1997م.

25. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،ط1،1984م.
26. محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، مكتبة هيبة، القاهرة-مصر، ط4، 1996م.
27. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، دون ذكر الطبعة، 2004م.
28- مناع القطان مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، دون ذكر الطبعة والسنة، ص:136-138.
29. يحي بن حمزة العلو، الطراز، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية،بيروت-لبنان،ط1، 2002م
30- يحي بن حمزة العلوي اليمني، الطراز، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت -لبنان، ط1، 2002م.